

مقاصد التفكير من المنظور القرآني

The Objectives of Thinking according to the Qur'anic Perspective

محمد يعقوب ذو الكفل²

Mohd Yakub@ Zulkifli Bin Haji Mohd Yusoff

جلال عبد الله أحمد سيف¹

Galal Abdullah Ahmed Saif

ملخص

لقد خلق الله الإنسان واستخلفه على هذه الأرض وقد خص الله الإنسان بالعقل والذي يعد آية الله الكبرى في عالم الإنسان، والتفكير هو أرقى عمليات العقل وبه تتحقق خلافة الإنسان ببعديها الهدائي الإيماني والحضاري العمراني على هذه البسيطة، والتفكير كوظيفة عقلية لا يعمل في فراغ ولا يسير بغير هدى بل إن القرآن ليضع له مقاصد وغايات ويحثه في طلبها وهذه المقاصد تتوزع في مجالين مجال آيات الكتاب المسطور (القرآن) ومجال آيات الكتاب المنظور (الكون)، والدراسة الحالية تهدف إلى بيان مفهوم التفكير في القرآن، كما تهدف إلى الكشف عن مدى أهمية المقاصد في توجيه التفكير، والدراسة كذلك تهدف إلى الكشف عن مقاصد التفكير في القرآن، ولتحقيق تلك الأهداف فقد استخدم الباحث المنهج الاستقرائي، وقد كشفت نتائج الدراسة أن التفكير عملية عقلية ذو طبيعة استخلافية، كما كشفت الدراسة أن المقاصد تمثل بوصلة توجيه وإرشاد للتفكير بما يجعله أداة بناء وتعمير، والدراسة كذلك كشفت أن التفكير في القرآن يعمل في مجالين هما مجال آيات الكتاب المسطور (القرآن)، ومجال آيات الكتاب المنظور (الكون)، والتفكير في كل مجال من تلك المجالات له مقاصده وغاياته والتي تصب في اتجاه تحقيق معاني الاستخلاف والوفاء بمطالباته.

الكلمات المفتاحية: مقاصد - التفكير - المنظور - القرآن

Abstract

God has distinguished man by reason, which is the greatest sign of God in the world of man, and thinking is the finest process of the humanbeing . The purpose of the present study is to explain the concept of thinking in the Qur'an, as well as to explore the importance of the objectives of the Qur'an.

¹ماجستير في أصول التربية، ودكتوراه في "تنمية التفكير في المنظور القرآني"

²عميد أكاديمية الدراسات الإسلامية ورئيس مركز بحوث القرآن بجامعة ملايا

In directing thinking, The study also revealed that thinking is a mental process of an abstract nature. The study also revealed that Maqasid is a compass of guidance, which makes it a tool for building and reconstruction, and study as well revealed that the thinking in the Qur'an works in two areas, namely the field of the verses of the (the Qur'an), and the field of the signs of the book the perspective (the universe), and thinking in each of these areas has its purpose and goal.

Key words: Maqasid, Thinking, Qur'an, perspective.

مقدمة

خلق الله سبحانه الإنسان وجعله خليفة في الأرض وفي مواجهة تلك المهمة والوفاء بتلك الرسالة فإن الله سبحانه كذلك قد زود الإنسان بالكثير من القدرات والطاقات اللازمة والتي تساعد على تحقيق ما وكل إليه، وياقي التفكير على رأس تلك القدرات والطاقات التي زود الله بها الإنسان لمواجهة متطلبات الاستخلاف، فالتفكير هو القوة الفاعلة في حياة الإنسان على هذه الأرض والتي تمكنه من الشهود الحضاري والتقدم العلمي في رحلته الطويلة الممتدة في شعاب الزمان واتساع المكان على هذه البسيطة.

والتفكير كقوة فاعلة في حياة الإنسان والتي من خلالها ينتج ويبدع في حضوره على هذه الأرض لا يخرج عن التقدير الإلهي المسبق في حكمة الخلق والإيجاد، وأنه في سياق ذلك له مقاصده وغاياته التي يعمل في طلبها، والتي هي بمثابة الموجه والمرشد له تماشياً مع رسالة الإنسان وغاية وجوده على هذه الأرض.

والدراسة الحالية معنية في بيان مفهوم التفكير ومقاصده كما تهدف الدراسة إلى بيان أهمية المقاصد في توجيه التفكير، والدراسة كذلك تهدف للكشف عن مقاصد التفكير ومدلولها في سياق الوجود الاستخلافي للإنسان على هذه الأرض، ومن ثم فإن أسئلة الدراسة يمكن حصرها في الآتي: ما مفهوم التفكير في القرآن؟ وما مدى أهمية المقاصد في توجيه التفكير؟ وما مقاصد التفكير في المنظور القرآني؟

وتبرز أهمية الدراسة في تناولها لموضوع التفكير من نواحي عدة منها أن التفكير يمثل المرتكز الذي يقوم عليه التقدم الحضاري، والدراسة في تقريبها لمفهوم التفكير تدفع في اتجاه الوعي بهذه العملية العقلية ذات السلطة الواسعة في حياة الإنسان، والدراسة في بيان أهمية المقاصد في توجيه التفكير تكون بذلك قد بينت طبيعة العلاقة بين التفكير

ومقاصده، كما أن الدراسة في بيان مقاصد التفكير تكون بذلك قد كشفت عن الاتجاه الصحيح والذي ينبغي للتفكير أن يسير فيه والذي يتحقق به سلامة وفائدة ما ينتجه التفكير.

وللإجابة على الأسئلة السالفة الذكر فإن الباحث قد استخدم المنهج الاستقرائي. وعليه فقد جاءت الدراسة في مقدمة ومبحثين، المبحث الأول: التفكير والمقاصد في القرآن وقد اشتمل على مطلبين المطلب الأول: مفهوم التفكير والمقاصد، والمطلب الثاني: أهمية المقاصد في توجيه التفكير، والمبحث الثاني: مقاصد التفكير في القرآن الكريم وقد اشتمل على مطلبين المطلب الأول: مقاصد التفكير في مجال آيات الكتاب المسطور (القرآن)، والمطلب الثاني: مقاصد التفكير في مجال آيات الكتاب المنظور (الكون).

التفكير والمقاصد في المنظور القرآن الكريم

مفهوم التفكير والمقاصد في القرآن

التفكير لغة: ورد في لسان العرب أن "الفكر بالفتح والفكر بالكسر: أعمال الخاطر في الشيء"³. ومرادفات فكر بمعنى: تأمل، وتبصر، وتمعن، ومحص⁴، فالتفكير في اللغة يعني أعمال العقل في الشيء. التفكير اصطلاحاً: يذكر الراغب الأصفهاني أنّ "الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكير: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، ولا يقال إلا فيما له صورة في القلب، ونقل عن بعض الأدباء قوله: الفكر مقلوب عن الفك، لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فك الأمور وبجتها طلباً للوصول إلى حقيقتها"⁵. والتفكير: "تصرف القلب في معاني الأشياء؛ لدرك المطلوب"⁶. وتفكير في الطبيعة" تأمل، أعمل العقل فيها ليصل إلى نتيجة أو حل"⁷.

والمتصفح لكتاب الله عز وجل يجد أن لفظ الفكر لم يرد في القرآن مصدرًا قط، ولكنه ورد بصيغة الفعل: فكر، يتفكرون، تتفكرون، يتفكروا، في الماضي والمضارع، وبصيغة المفرد والجمع، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [المدثر: 18]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ﴾

3 ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار الفكر، ط1، ج5، 1990م)، ص65.

4 البقاعي، إيمان وغريد الشيخ، المتقن معجم المترادفات العربية، (بيروت: دار الراتب الجامعية، ط1، 2006م)، ص274.

5 الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، بيروت: دار القلم، ط3، 2002م، ص643.

6 الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983م)، ص63.

7 عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 2008م)، ص1733.

هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿الانعام: 50﴾، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الاعراف: 184].

فالقرآن يقرر بأن التفكير والذي يعد احدى العمليات العقلية ذو طبيعة وظيفية ومقاصدية استخلافية، فالتفكير في القرآن ليس مقصوداً لذاته، وإنما لما يترتب عليه من نتائج في مجال تحصيل أسباب الهداية والإيمان وفي مجال تحصيل أسباب الحضارة والعمران، وهما ركنان يقوم عليهما الاستخلاف على هذه البسيطة.

فالتفكير في إطاره الكلي وفق الرؤية الاستخلافية في القرآن يمثل حلقة الوصل بين الإنسان وخالقه معرفة وهداية وإيماناً، وبين الإنسان والكون من حوله استكشافاً واستثماراً وعمراناً، بما يحقق خلافة الإنسان على الأرض، فهو تفكير توليدي انتاجي، يخدم الاستخلاف ويعمل في سبيل تحقيق معانيه.

المُقصد: "يُقَالُ إِلَيْهِ مَقْصِدِي وَجْهَتِي" ⁸، وهو بمعنى الهدف، والهدف يعرفه ابن منظور بأنه كل بناء مرتفع مشرف من بناء أو كتيب أو رمل أو جبل والجمع له أهداف ⁹. والهدف كذلك "هو الغرض المنتصب القريب، وغير الممتلئ أو غير مكتمل" ¹⁰.

ومقاصد التفكير في القرآن هي مجموعة الأهداف والغايات التي تضمنها القرآن والتي تمثل وجهة التفكير ومبتغاه في فعله ونشاطه والتي تأتي في سياق تحقيق الاستخلاف والوفاء بمتطلباته .

أهمية المقاصد في توجيه التفكير

إن وضوح الرؤية وبروز الأهداف يعد ضرورة ملحة في توجيه قدرات الإنسان وطاقاته التوجيه الصحيح والنافع، بحيث تصب جهوده وتستنفذ طاقاته فيما يعود عليه بالنتج وبما يحقق غاية خلقه ويحفظ له وجوده، ويعزز من حضوره وشهوه.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: 22]، تباين واختلاف واسع المدى "أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا تَشْبِيهُ لِحَالِ الَّذِي آمَنَ بِرَبِّ وَاحِدِ الْوَائِقُ بِنَصْرِ رَبِّهِ وَتَأْيِيدِهِ وَبِأَنَّهُ مُصَادِفٌ

⁸ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (مجمع اللغة العربية القاهرة، القاهرة: دار الدعوة، د.ط، د.ت). ج2، ص738.

⁹ ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص53.

¹⁰ بدرية صالح عبد الرحمن الميمان، نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها دراسة في التأصيل الإسلامي للمفاهيم، (الرياض: دار عالم الكتب، ط1، 2002م)، ص534.

لِلْحَقِّ، بِحَالِ الْمَاشِي فِي طَرِيقِ جَادَّةٍ وَاضِحَةٍ لَا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَى اتِّجَاهِ وَجْهِهِ فَهُوَ مُسْتَوٍ فِي سَيْرِهِ"¹¹، وأما "الْمُتَعَسِّفَ الَّذِي يَمْشِي هَكَذَا وَهَكَذَا عَلَى الْجَهَالَةِ وَالْحَيْرَةِ لَا يَكُونُ كَمَنْ يَمْشِي إِلَى جِهَةٍ مَعْلُومَةٍ مَعَ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ"¹².

فالأهداف تعد بوصلة توجيه وإرشاد للإنسان، وهي بسموها ونبليها تأخذ بيده وتوجه قدراته بما يحفظ له وجوده على هذه الأرض، فالأهداف السامية والمقاصد الجليلة تستنفر التفكير وتشحذ فاعليته بما يحفظه عن الهدر والضياع أو يهوي به في مدارك الضلال، وهي بانحطاطها قد تكون سبباً في السوق به إلى مواطن الهلاك والفناء. وحيث أن الله سبحانه قد زود الإنسان بكثير "من المواهب والإ استعدادات الذاتية التي يؤدي بها دوره في الحياة في مدى ما له من قدرة على التثمير، وطواعية للتفاعل مع سنن الإنتاج والتنمية"¹³، ولكون التفكير هو إحدى الإ استعدادات التي زود الله بها إنسان الخلافة، والذي يمثل إحدى أوجه النشاط الإنساني والتفاعل البشري مع الحياة بما يخدم الإ ستخلاف ويحقق معانيه، فإن توجيهه التوجيه الصحيح وتوظيفه التوظيف البناء بما يحقق سعادة الإنسان وبما يحقق استخلافه، يستلزم وضوح في المقاصد والغايات التي ينبغي أن يتوجه نحو تحقيقها، حتى لا يغدو طاقة مبعثرة وجهداً مهدوراً خارج دائرة خدمة الوجود البشري والشهود الحضاري، وحتى لا يصير أداة هدم وتدمير في الحياة الإنسانية، إذ العواقب مرتبطة بخيرية المقاصد¹⁴.

والقرآن الكريم كونه قد دعا إلى التفكير فلا شك أنه قد رسم له مقاصد وغايات يتوجه إليها ويعمل في طلبها، والقرآن في رسمه لتلك المقاصد والغايات إنما ينطلق من تصوره عن الله والكون والحياة والإنسان، مما يجعل من تلك الأهداف حلقة مترابطة وخطوط محددة معالمها توجه نتاجات التفكير بما يحقق غاية خلق الإنسان ويخدم وجوده، حيث أنه من خلال تلك المقاصد تنتظم علاقة الإنسان بربه، وبذاته، وبالكون، وبالحياة، كما يتيسر له سبل العيش ويرفع عنه الحرج، والمشقة في الحياة.

فالتفكير كإلزامه استخلافية مطلوب أن يعمل في الحياة تمثيلاً مع غائية الوجود فهو مطالب أن يعمل في دوائر التيسير والرحمة ورفع الحرج، وحفظ مصالح الخلق المرتبطة بالوجود الإنساني ابتداءً من الفرد ومروراً بالجماعة فالأمة وانتهاءً

¹¹ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د:ط، ، 1984م)، ج 29، ص 45.

¹² فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 3، 1420هـ)، ج 30، ص 594.

¹³ سعيد اسماعيل علي، **رؤية إسلامية لقضايا تربوية**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط 1، 1993م)، ص 68.

¹⁴ سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (بيروت: دار الشروق، ط 17، 1412هـ)، مج 6، ص 3387.

بالإنسانية ككل، وما يترتب على ذلك من حفظ لكل مقومات الوجود، بمعنى أنه يعمل وفق غائية ومقاصد ولا يسير على هوى وعشوية وفوضى.

فالتفكير كمنحة إلهية زود الله بها الإنسان إنما هو حركة ونشاط عقلي في اتجاه الأهداف والغايات النبيلة والسامية وليس عبث وعشوائية، وهو ما يجعله يصب في سبيل التقدم العلمي والبناء الحضاري الذي يرفع عن الإنسان الحرج وييسر له سبل العيش الرغيد على هذه الأرض.

وكون الخطاب القرآني قد وجه التفكير إلى مجالات مختلفة فهذا يعني أن التفكير في كل مجال له مقاصده وغاياته، فالتفكير في مجال الآيات القرآنية له مقاصد تتمثل في فهم معانيها ودلالاتها واستنباط الأحكام الواردة فيها، والخروج بدلالاتها التربوية والنفسية والعقلية والسلوكية، بالإضافة إلى استلهاهم منهج عرض الحجج والبراهين منها، واستقراء ما في تلك الآيات من إعجاز تشريعي وبلاغي وعلمي، بالإضافة إلى فقه تنزيل تلك الآيات على واقع الحياة مع مراعاة التغيرات التي تطرأ على كل عصر.

والتفكير كذلك وهو يعمل في مجال الآيات الكونية له مقاصد وغايات تسوقه في تفاعله مع الآيات الكونية وتوجه مساره وتحفظ له اتجاهه الصحيح بما يجعل منه أداة بناء وتعمير وبما يحقق معاني الاستخلاف وبني بمتطلباته، وتلك المقاصد والغايات في مجملها تمثل بوصلة توجيه للتفكير.

مقاصد التفكير في القرآن الكريم: التفكير في القرآن يقوم على منهجية ومرتبطة بمقاصد وغايات سامية تحدد له توجهاته وترتقي برسالته فلا تأسره الأهواء ولا تلوثه الشهوات، وهو ما يجعله يسير في اتجاه الإصلاح والإعمار، وعليه يمكن حصر تلك المقاصد والغايات على مستوى مجالين، مجال آيات الكتاب المسطور (القرآن)، ومجال آيات الكتاب المنظور (الكون) في الآتي:

مقاصد التفكير في مجال آيات الكتاب المسطور (القرآن)

1- طلب رضا الله والتقرب منه سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَدْعِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: 162-164]. تقرير بدينونة كاملة لله في كل مناحي الحياة بما يجعلها خالصة لله وحده، "إنه التجرد الكامل لله، بكل خالصة في القلب وبكل حركة في الحياة. بالصلاة والاعتكاف. وبالحميا والممات. بالشعائر التعبديّة، وبالحمية الواقعية، وبالممات وما وراءه ... في «إسلام» كامل لا يستبقي في النفس ولا في الحياة بقية لا يعبدها الله، ولا

يحتجز دونه شيئاً في الضمير ولا في الواقع" ¹⁵، فالفرد المسلم يعيش تحت مقصد كلي هو رضا الله سبحانه، وبهذا المقصد يصبح التفكير كله خيراً وللخير يعمل، لأن الخير كل الخير كامن تحت رضا الله سبحانه.

2- استنباط المعاني والدلالات الثابتة في آيات الكتاب المسطور (القرآن): قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ

تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]، " وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ وَهَذَا ثَنَاءٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِهِ، وَمَعْنَاهُ: مَا يَتَّعِظُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا ذَوُو الْعُقُولِ الْكَامِلَةِ، فَصَارَ هَذَا اللَّفْظُ كَالدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ " ¹⁶. وهكذا فإنه " لَوْلَا مَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِي النَّفُوسِ مِنْ إِذْرَاكِ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهَا لَمَا فَهَمُوا مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ الشَّرَائِعُ الْإِلَهِيَّةُ " ¹⁷.

قال تعالى: ﴿الْم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (3)﴾ [لقمان: 1-3]، كتاب عامر بالحكمة التي تخاطب العقل وتستثيره، " وهؤلاء المحسنون هم الذين يكون الكتاب لهم هدى ورحمة لأنهم بما في قلوبهم من تفتح وشفافية يجدون في صحبة هذا الكتاب راحة وطمانينة ويتصلون بما في طبيعته من هدى ونور، ويدركون مراميهِ وأهدافه الحكيمة، وتصطلح نفوسهم عليه، وتحس بالتوافق والتناسق ووحدة الاتجاه، ووضوح الطريق. وإن هذا القرآن ليعطي كل قلب بمقدار ما في هذا القلب من حساسية وتفتح وإشراق وبقدر ما يقبل عليه في حب وتطلع وإعزاز " ¹⁸. فبقدر ما يكون الإقبال عليه والتفكير فيه يكون عطائه ويكون هداه وحكمته.

والتفكير كذلك من خلال تفاعله مع النص القرآني يهدف إلى استخلاص الأحكام التي تقوم عليها العبادات وتستند عليها الحدود، وقد كان الاجتهاد هو السبيل إلى ذلك خلال التاريخ الإسلامي، والذي كان مظهرًا من مظاهر فاعلية التفكير في تعاطيه مع النص القرآني، وقد كان من ثماره تلك الأحكام التي استنبطتها المدارس الفقهية.

ومن مقاصد التفكير كذلك الوقوف على مآلات الآخرة بما لها من وصف في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلِ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

¹⁵ سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج3، ص1241.

¹⁶ الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج7، ص147.

¹⁷ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج30، ص370.

¹⁸ سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج5، ص2784.

حَكِيمٍ (220) ﴿البقرة: 219-220﴾، " لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم أنّ العفو أصلح من الجهد في النفقة، وتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع " ¹⁹.

3. الكشف عن سنن تحصيل الهداية والإيمان واستثمارها: قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ

مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]، وقال تعالى: (الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ

(2) ﴿البقرة: 1-2﴾، وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى

وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا

يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، "وَالْتَدَبُّرُ: التَّفَهُُّمُ فِي دُبْرِ الْأَمْرِ، أَي مَا يَخْفَى مِنْهُ وَهُوَ مُشْتَقٌّ

مِنْ دُبْرِ الشَّيْءِ، أَي خَلْفُهُ" ²⁰. فالقرآن الكريم فيه من سنن وقوانين الهداية والإيمان الكثير ولا سبيل إليها إلا

بالتفكير.

فالقرآن كتاب هداية إلى الطريق القويم، غير أن ذلك الهدى لا يتحقق إلا من خلال التفكير فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ

هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]، " لِأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ بِأَسْلُوبٍ مِنَ الْإِزْشَادِ قَوِيمٍ ذِي أَفْنَانٍ لَا يَحُولُ دُونَهُ

وَدُونَ الْوُلُوجِ إِلَى الْعُقُولِ حَائِلٌ، وَلَا يُعَادِرُ مَسَلِكًا إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْأَخْلَاقِ وَالطَّبَائِعِ إِلَّا سَلَكَهُ إِلَيْهَا تَحْرِيفًا أَوْ

تَحْذِيرًا، بِحَيْثُ لَا يَعْدَمُ الْمُتَدَبِّرُ فِي مَعَانِيهِ اجْتِنَاءَ ثَمَارِ أَفْنَانِهِ، وَبِتِلْكَ الْأَسَالِبِ الَّتِي لَمْ تَبْلُغْهَا الْكُتُبُ السَّابِقَةُ كَانَتْ الطَّرِيقَةُ

الَّتِي يَهْدِي إِلَى سُلُوكِهَا أَقْوَمَ مِنَ الطَّرَائِقِ الْأُخْرَى وَإِنْ كَانَتْ الْعَايَةُ الْمَقْصُودُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا وَاحِدَةً" ²¹. فالتفكير من

خلال وقوفه على آيات الكتاب العزيز تتكشف له السنن والطرق التي تصل الإنسان بربه والتي يكون معها اليقين والإيمان

الصادق.

4. الكشف عن سنن تحقيق الحضارة وال عمران واستثمارها: قد تضمن القرآن الكريم في معرض آياته العديد

من الحقائق والسنن والقوانين التسخيرية، وذلك على مستوى آيات الآفاق وآيات الانفس والسنن الاجتماعية، بما

يجعلها محل نظر للتفكير كي يعمل عليها ويستخلص منها ما من شأنه أن يساعد في تحقيق الحضارة وال عمران على هذه

الأرض.

¹⁹ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3،

1407هـ)، ج1، ص263.

²⁰ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج26، ص113.

²¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج15، ص40.

ففي مجال آيات الآفاق الكون بمخلوقاته في سماءه وأرضه والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم فإن التفكير تقوده مقاصد تتمثل في الكشف عن السنن والقوانين التسخيرية التي تحكمها والتي تضمن القرآن الكريم الكثير منها، والتي تمثل عامل توجيه وإرشاد للتفكير في تحقيق معاني الاستخلاف والوفاء بمتطلباته.

وفي مجال آيات الأنفس فإن المقاصد هنا تتمثل في الكشف عن السنن والقوانين التي تحكم الجوانب الشخصية للإنسان بأبعادها العقلية والنفسية والجسمية والوجدانية والتي ورد ذكرها في القرآن لكريم، بما يضمن التربية والإعداد المناسب لإنسان الخلافة، وبما يعزز من الشواهد والأدلة على عظمة الله وحكمته في الخلق والتقدير. قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَاهَا﴾ [الشمس: 9].

وفي مجال السنن الاجتماعية والتاريخية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كذلك، فإن مقاصد التفكير هنا تتمثل في الكشف عن السنن والقوانين التي حكمت الحضارات صعوداً وهبوطاً تقدماً وتخلّفاً حضوراً وغياباً، بما يحقق توجيه مسار الأمة في اتجاه البناء والتعمير، والحضور والشهود، ويبيدها عن السير في اتجاه الهدم والتخريب، أو السقوط والإنذار، بالإضافة إلى استخلاص دلائل عظمة قدرة الله سبحانه، وأثر نعمته فيما مضى من الأمم التي زاغت عن طريق الحق وخالفت أوامر الله وما أعقب ذلك من حلول عقوبة الله عليها. قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: 137].

فالقرآن يشتمل على سنن الحضارة والعمران، وذلك بما تضمن من ذكر لقيام حضارات وسقوطها وبما أورد من أساليب حياة في الحكم والاقتصاد للأمم وشعوب، وبما أورد من ذكر لسنن وقوانين تسخيرية تحكم الوجود، فهو بما حوى يمثل "حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناءً _ يتفق بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبية _ مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي حتى لا يصبطدم الإنسان بالكون من حوله، بل يصادقه ويعرف بعض أسرارهِ ويستخدم بعض نواميسه في خلافته، نواميسه التي تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب ليعمل لا ليتسلم المعلومات المادية الجاهزة" ²².

وهكذا فإنه "كلما تقدم النظر، وجمعت العلوم ونازعت إلى الكشف والإختراع، واستكملت آلات البحث ظهرت خصائصه الطبيعية ناصعة حتى كأنه غاية لا يزال عقل الإنسان يقطع إليها" ²³.

²² سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 1، ص 182.

²³ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط 1، 2004م)، ص 100.

فالقرآن بمنهجه الرباني قد اشتمل على سنن وقوانين في مجال الهداية والإيمان، كما اشتمل على سنن وقوانين في مجال الحضارة وال عمران، والتفكير في القرآن إنما يهدف للكشف عن تلك السنن والقوانين بهدف استثمارها في عالم الإنسان هداية وإيماناً وحضارة وعمراناً.

مقاصد التفكير في مجال آيات الكتاب المنظور (الكون)

التفكير في مجال الآيات الكونية والذي يشمل آيات الآفاق وآيات الأنفس والسنن الاجتماعية، تتمثل مقاصده في الآتي:

1. الكشف عن سنن تحصيل الهداية والإيمان واستثمارها: فالله سبحانه وتعالى جعل الكون بآياته المتنوعة (آيات الآفاق _ آيات الأنفس _ السنن الاجتماعية) كلها محلاً للتفكير بما يهدي إلى الخالق العظيم وبما يعزز إيمان الإنسان ويبني عقيدته الراسخة بوجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته وتفردته في الخلق والتقدير، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدائقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْتَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رِوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْتَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْتَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْتَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْتَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: 60-64]، فالله سبحانه وتعالى يسوق الدلالات المثبوتة في الكون والتي تشهد على وحدانيته وانفراده بالخلق والتقدير للكون، وهي إنما تدرك من خلال التفكير، فالتفكير من خلال تلك الأدلة الشاهدة تتكشف له سبل الهداية ويتضح له الطريق الموصل إلى الله.

وهكذا فقد كان مجرد التذكير بوجود السماوات والأرض وما يعتمر فيهما من آيات، " والتوجيه إلى التفكير فيمن خلقها، كفيلاً بالزام الحجة، ودحض الشرك، وإفحام المشركين. وما يزال هذا السؤال قائماً فإن خلق السماوات والأرض على هذا النحو الذي يبدو فيه القصد، ويتضح فيه التدبير، ويظهر فيه التناسق المطلق الذي لا يمكن أن يكون فلتة ولا مصادفة، ملجئ بذاته إلى الإقرار بوجود الخالق الواحد، الذي تتضح وحدانيته بآثاره. ناطق بأن هناك تصميمًا واحداً متناسقاً لهذا الكون لا تعدد في طبيعته ولا تعدد في اتجاهه. فلا بد أنه صادر عن إرادة واحدة غير متعددة. إرادة

قاصدة لا يفوتها القصد في الكبير ولا في الصغير"²⁴. فالتفكير إذن في آيات الله الكونية لا محالة تتكشف معه الأدلة التي تقيم الإيمان وتحقق اليقين بوحداية الله وعظيم قدرته في الخلق والتدبير.

2. الكشف عن سنن تحقيق الحضارة والعمران واستثمارها: فالتفكير في مجال آيات الكتاب المسطور تتوزع

مقاصده في الكشف عن سنن تحقيق الحضارة والعمران على مستويات ثلاثة:

أ. مستوى آيات الآفاق: وفي مجال آيات الآفاق، فان مقاصد التفكير هنا تتمثل في الكشف عن السنن والقوانين التي تحكم العلاقات بين الأشياء، وتوظيف تلك السنن والقوانين فيما يخدم رسالة الإستخلاف وفيها بواجب العمارة، واستغلال مقدرات الكون وفقاً لسنن وقوانين التسخير، بالإضافة إلى استخلاص ما في تلك الآيات من شواهد على عظمة الخالق سبحانه ووحدايته. قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:20]، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجمانية:13]. وتتسع آيات الآفاق لتشمل كل ما في السماوات والأرض ولتكون مجالاً للتفكير وساحة لفعله ونشاطه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾ [آل عمران: 190-191]، وأولي الألباب هم أصحاب العقول وتفكيرهم يهديهم إلى الكشف عن علل خلق الأشياء، يقول الألوسي (ت:1270هـ) في الآية السابقة "والمعنى ربنا ما خلقت هذا المخلوق أو المتفكر فيه العظيم الشأن عارياً عن الحكمة خالياً عن المصلحة، كما ينبى عنه أوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكير فيه العادمين من جناح النظر قوادمه وخوافيه، بل خلقت مشتملاً علة حكم جليلة، منتظماً لمصالح عظيمة تقف الأفكار حسرى دون الإحاطة بها وتكل أقدام الأذهان دون الوقوف عليها بأسرها، ومن جملتها أن يكون مداراً لمعاش العباد ومنازاً يرشدهم إلى أجواء المبدأ والمعاد"²⁵.

وبالنظر في الكواكب كمفردة من مفردات الوجود"فما من كوكب من الكواكب إلا وللرب تبارك وتعالى في خلقه حكم كثيرة، ثم في مقداره، ثم في شكله ولونه، ثم في موضعه من السماء وقربه من وسطها وبعده، وقربه من

²⁴ سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج5، ص2656.

²⁵ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: على عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ج2، ط1، 1415هـ)، ص370.

الكواكب الذي يليه وبعده منه " ²⁶. وإن التفكير ليعمل على استكشاف تلك الحكم الجليلة، فهو تفكير يعمل لاستخراج مقاصد خلق الأشياء وعلل وجودها.

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ. إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:20]، " إن التعبير هنا بلفظ الماضي «كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ» بعد الأمر بالسير في الأرض لينظروا كيف بدأ الخلق. يثير في النفس خاطرًا معينًا.. ترى هنالك في الأرض ما يدل على نشأة الحياة الأولى، وكيفية بدء الخليقة فيها. كالحفريات التي يتبعها بعض العلماء اليوم ليعرفوا منها خط الحياة كيف نشأت؟ وكيف انتشرت؟ وكيف ارتقت؟ ... ويكون ذلك توجيهها من الله للبحث عن نشأة الحياة الأولى والاستدلال به عند معرفتها على النشأة الآخرة" ²⁷، باعتبار ما يحكم ذلك من سنن ربانية، وهو ما يعزز الإيمان بوعد الله وصدق القرآن، ومن وجه آخر فإن معرفة تلك السنن والقوانين التي حكمت نشأة الخلق وتكونه يمكن استثمارها في تحقيق الحضارة والعمران.

ب. مستوى آيات الأنفس: قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:21]، هنا دعوة للنظر في عالم الإنسان بأبعاده المختلفة "وَفِي أَنْفُسِكُمْ" في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق: ما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من أصناف المعاني، وبالأسنن، والنطق، ومخارج الحروف، وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها: من الآيات الساطعة والبيئات القاطعة على حكمة المدبر، دع الأسماع والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له" ²⁸.

هذا الكائن الذي يختزل في مركبه الكثير من الأسرار " وهذا المخلوق الإنساني هو العجبية الكبرى في هذه الأرض. ولكنه يغفل عن قيمته، وعن أسراره الكامنة في كيانه، حين يغفل قلبه عن الإيمان وحين يجرم نعمه اليقين. إنه عجيبة في تكوينه الجسماني: في أسرار هذا الجسد. عجيبة في تكوينه الروحي: في أسرار هذه النفس. وهو عجيبة في ظاهره وعجيبة في باطنه " ²⁹.

²⁶ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وفاروق حسن الترك، (بيروت: دار بن حزم، ط1، 1431هـ/2010م)، ج2، ص551.

²⁷ قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج5، ص2730.

²⁸ الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق، ج4، ص399.

²⁹ قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج6، ص3379-3380.

والإنسان وهو يتأمل عجائب نفسه يلتقى بأسرار تدهشه وتحيره. فمن تكوين الأعضاء وتوزيعها، إلى وظائفها وطريقة أدائها لهذه الوظائف. ثم عملية الهضم والامتصاص وما تتضمنه من تفاعلات. إلى عملية التنفس والاحتراق. وفي المقابل دورة الدم في القلب والعروق. إلى الجهاز العصبي وتركيبه العجيب وإدارته للجسم. كلها تعمل في تناسق وتعاون وتكامل ودقة متناهية في التقدير، وما من عضو إلا وفيه خارقة تحير الألباب، وهو في ذلك كله محوم بالسنن والقوانين التي صبغ الله عليها مركبه وكيانه.

فالمقاصد هنا تأتي في سياق الإحاطة بالذات الإنسانية ومعرفة مقوماتها واكتشاف سنن توجيهها وتكوين العادات الفاعلة والحسنة فيها، والتي تجعل الفرد بمستوى الفاعلية والشهود الحضاري، باعتبار أن الإنسان هو محور اهتمام القرآن، ومدار تربيته، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 9-10]، فالتفكير هو الذي يستخلص ويستنتج سنن تربية النفس وتركبتها من خلال البحث والتقصي والملاحظة والتجريب. " وَإِذَا صَلَّحَتِ النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ أَصْلَحَتِ كُلَّ شَيْءٍ تَأْخُذُ بِهِ، وَتَتَوَلَّى أَمْرَهُ، فَالْإِنْسَانُ سَيِّدُ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَصَلَّاحُهَا وَفَسَادُهَا مُنَوِّطٌ بِصَلَّاحِهِ وَفَسَادِهِ" ³⁰. وعليه فإن إصلاحه يعد من أولويات التفكير وأسمى مقاصده، باعتبار أن الإنسان أهم عنصر ينبغي الاهتمام به وتنميته، إذ أن بغيره لا يكون هناك تنمية ولا تقدم ³¹.

وإذا كان البحث والدراسة والتنقيب في أسباب الطبيعة والتاريخ فرضاً قرآنياً وركناً أساسياً لتقيق الإستخلاف، فإن البحث في النفس البشرية التي ستقوم بواجب الإستخلاف هو من صميم الفريضة وجوهرها، إذ لا تبحر المركبة في عباب البحر دون أن يعرف ربانها بكل دقة كل أجزائها ³².

ويظهر التاريخ شواهد محسوسة في سجل الإنسانية على أن الرسل والأنبياء في دعوتهم والذين أحكموا القدرات الأخلاقية في ميدان النفس الإنسانية وفي مجال الإجتماع البشري استطاعوا الارتقاء بنماذج من البشر إلى الدرجة التي يتطلع إليها الإنسان في الكمال والمثالية، وإن التوسع في ذلك يحتاج إلى مزيد من القدرات التسخيرية في ميدان النفس

³⁰ محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990م)، ج1، ص7.

³¹ محمد عبد العليم، التربية والتنمية في الإسلام، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ط، 1413هـ/1992م)، ص40.

³² أحمد خيرى العمري، البوصلة القرآنية إبحار مختلف بحثاً عن الخريطة المفقودة، (دمشق: دار الفكر، ط1، 2003م)، ص157.

والاجتماع، كما ويحتاج كذلك إلى تطوير مفاهيم جديدة في مجال العلم والتربية، وهو الأمر الذي توجه إليه أصول التربية الإسلامية³³.

ج. مستوى السنن الاجتماعية: وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الانعام: 11]. وقال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الروم: 9]، "لينظر من ينظر «عاقبة المنذرين» المكذبين وليتعظ من يتعظ بعاقبة المؤمنين الناجين ... هذه سنة الله في الأرض. وهذا وعده لأوليائه فيها.. فإذا طال الطريق على العصابة المؤمنة مرة، فيجب أن تعلم أن هذا هو الطريق، وأن تستيقن أن العاقبة والاستخلاف للمؤمنين"³⁴، فالقرآن عادة ما يربط بين التفكير بقدرة الإنسان على اكتشاف السنن والقوانين التسخيرية واكتشاف الحقائق واكتساب المعرفة، واستخلاص العبر، ليجعل التفكير على صلة بالسنن والقوانين التسخيرية.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: 30]، "أولم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية، ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم كانوا أشد منهم قوَّةً وأثاروا الأرض وحرثوها ... فما كان تدميره إياهم ظلماً لهم، لأنَّ حاله منافية للظلم، ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم"³⁵. فهي سنن تحكم عالم الإنسان والتفكير مطالب بالعمل على الكشف عنها.

فالخطاب القرآني يقرن بين السير في الأرض والنظر قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: 137]، فالهدف من السير في الأرض هو "إكتشاف السنن ما دام الواقع المعاش لا يتيح للمرء أن يرى الصورة كاملة بكل أبعادها والسير في الأرض ليس سيراً في المكان فقط، ولكنه أيضاً سير في الزمان حتى نرى قصة البشرية كاملة في رشدتها وغيها، والعواقب التي آلت إليها"³⁶.

³³ ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد واخراج الأمة وتنمية الأخوة الانسانية، (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط2، 1997م)، ص152.

³⁴ قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج3، ص1812.

³⁵ الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق، ج3، ص469.

³⁶ عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، (دمشق: دار القلم، ط4، 2005م)، ص23.

ولقد استطاع الإنسان عبر تاريخه الطويل من خلال اكتشاف قوانين الكون المحسوس وما يدب فيه من سنن وقوانين وتسخير هذه القوانين أن يعرف كيف يتعامل مع مكونات هذا الكون وتسخيرها لتحسين حياته والارتقاء بوجوده المادي ومن ثم التغلب على كثير من الأخطار والمصاعب التي تواجهه في حياته على هذه الأرض. فالإنسان بتسخيره لقوانين الهواء والفضاء - كالجاذبية مثلاً - صار بذلك يعرف كيف يصنع المركبات ويتجاوز قوانين الجاذبية ويجوب الفضاء ويدور باقتدار حول الأرض في زمن محدود³⁷.

ومن مقاصد التفكير كذلك في مجال آيات الكتاب المسطور الكشف عن السنن والقوانين التي تبرز حكمة الله سبحانه وعظيم إبداعه والذي به يتعزز الإيمان ويتحقق اليقين بوجود الله سبحانه وتعالى:

3. معالجة المشكلات التي تعترض الوجود الإنساني

وذلك بالكشف عنها ومن ثم وضع الحلول المناسبة لها، كالكوارث والأمراض بأنواعها، وغيرها من المشكلات التي تعترض مسيرة البشرية، وقد تمثل ذلك في قصة يوسف ومعالجة مشكلة القحط والجذب، وقصة ذو القرنين في مواجهة فساد يأجوج ومأجوج. وهذا الهدف بلا شك يجعل التفكير يعمل في اتجاه معالجة ما يستجد من مشكلات في مسيرة الحياة الإنسانية.

فالمشكلات التي تعترض مسيرة الإنسان على هذه الأرض يقوم حلها على أساس السنن والقوانين، والسنن والقوانين إنما يتم اكتشافها والتعرف عليها من خلال التفكير، ولذلك فإن "الخبير بسنن المجتمعات يمكن أن يدرك، ويتخذ إجراءات تغيير نظرات المجتمع، ويفرض نظام من الحماية على الأغذية من جرائم فكرية تعطل قوى المجتمع وتماسكه، وكما يمكن استخدام الحجر الصحي لإيقاف الأوبئة في مستوى المرض الصحي، يمكن استخدامه في مستوى المرض الاجتماعي، كما يمكن إعطاء اللقاحات الفكرية ضد أفكار مرضية"³⁸. ذلك أن المجتمع بمشكلاته يخضع للسنن والقوانين التسخيرية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: 11]، "ظَاهِرَ هَذِهِ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِعْلَ اللَّهِ فِي التَّغْيِيرِ مُؤَخَّرٌ عَنِ فِعْلِ الْعَبْدِ"³⁹، يقول

³⁷ الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، مرجع سابق، ص 152.

³⁸ جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، (د.م، د.ن، ط8، 1989م.)، ص 21.

³⁹ الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 19، ص 20.

ابن عاشور " وَأُطْلِقَ التَّعْيِيرُ فِي قَوْلِهِ: حَتَّى يُعَيَّرُوا عَلَى التَّسَبُّبِ فِيهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَجَازِ الْعُقْلِيِّ " ⁴⁰. وإنها حقيقة تلقي على البشر تبعة ثقيلة ومسئولية عظيمة فقد قضت مشيئة الله وجرت بما سنته وقوانينه التي تقوم عليها الحياة، أن تترتب مشيئة الله في عالم البشر على تصرف هؤلاء البشر وأن تنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم ⁴¹. فالله سبحانه وتعالى قد أوكل مسألة معالجة المشكلات والتغيير في أوضاع المجتمع والدفع به نحو التقدم والرخاء، والخروج به من الدونية والإرتقاء به في سلم الشهود الحضاري، أوكل ذلك للقوة التفكيرية لدى الإنسان فهي المعنية بمعالجة المشكلات والحد من تأثيراتها السلبية بما منحها الله من قدرات على الكشف عن السنن والقوانين التسخيرية التي تحكم تلك المشكلات، وبما لديها من قدرة كذلك على اقتراح الحلول المناسبة في ضوء ما يتكشف لها من السنن والقوانين. وهكذا فإن "هدف الإنسان في هذا المجتمع استئناف الحياة الإسلامية ووسيلته كل ما يمكن أن يصل إليه فكره وبه" ⁴².

4. استشراف المستقبل: وذلك من خلال التعاطي معه باقتراح المعالجات بما يتناسب مع التغيرات والتحويلات التي تجدد فيه، قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ [يوسف: 47-48]، وهنا تظهر قراءة المستقبل ولكن بوحي النبوة، غير أن في ذلك دلالة على ضرورة حضور المستقبل واعتباره في تفكير إنسان الخلافة، فالتفكير لدى إنسان الخلافة ينبغي أن يعمل على استشراف المستقبل بمآلاته وتحولاته في ضوء المعطيات التي تتوافر لديه من خلال استقراء الماضي والحاضر.

قال تعالى: ﴿الْم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4)﴾ [الروم: 1-4]، وتظهر هنا لفظة القرآن الكريم للتفكير نحو المستقبل بمتغيراته وتحولاته، ذلك أن "النصر والهزيمة أحوال تنشأ عن مؤثرات، وفق تلك السنن التي اقتضتها تلك المشيئة الطليقة" ⁴³. والتفكير هو المعنى بتبعتها والكشف عنها والسيطرة عليها بما يساعد على التحكم في نتائج المستقبل، وذلك من خلال استقراء الوقائع وتفسيرها واستخدام القياس والخروج بنتائج.

⁴⁰ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 13، ص 102.

⁴¹ قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج 4، ص 2049.

⁴² جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، مرجع سابق، ص 27.

⁴³ قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج 5، ص 2758.

وبذلك تبدو علاقة التفكير ببعده الإستخلافي مع مكونات الوجود قائمة على البحث والإستكشاف عن علل وجودها ومقاصد خلقها، فيغدوا الكون بمكوناته لوحة متناغمة من الوجود الهادف لخدمة الحياة الإنسانية على هذه البسيطة.

وجميع هذه المقاصد مشتقة من التصور الكلي لله والكون والحياة والإنسان في القرآن، وتنسل من المقاصد والغايات المتضمنه في خطابه والثاوية في معانيه، والتي في مجملها توجه التفكير بما يكفل الوفاء بمتطلبات الإستخلاف وعمارة الأرض، وهكذا فالقرآن الكريم من خلال ما يرسم من أهداف سامية وبما يضع من أطر إنما يهدف في الأساس ليجعل من التفكير عامل بناء وتعمير في الحياة الإنسانية وبما يكفل توفير ظروف العيش الكريم الآمن للناس كافة في هذه الأرض، وجميع هذه المقاصد تنسل من قاعدة عامة مفادها جلب المصالح ودرء المفاسد، فهذه المقاصد بسموها وخيريتها تجعل من التفكير أداة بناء وتعمير، وهذا التعمير والبناء يعم كل مناحي الحياة الإنسانية ويستوعب كل متطلبات الاستخلاف واحتياجاته.

النتائج:

- في ضوء ما سبق فقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج والتي يمكن حصرها في الآتي:
- 1- أن التفكير في القرآن له حضوره والذي يعكس مدى اهتمام القرآن بهذه القدرة العقلية.
 - 2- أن مفهوم التفكير في القرآن عملية عقلية ذو طبيعة وظيفية استخلافية.
 - 3- المقاصد تمثل بوصلة توجيه للتفكير.
 - 4- التفكير في القرآن يعمل في مجالين مجال آيات الكتاب المسطور (القرآن) ومجال آيات الكتاب المنظور (الكون).
 - 5- مقاصد التفكير في القرآن تتوزع في مجالين مجال آيات الكتاب المسطور (القرآن)، ومجال آيات الكتاب المنظور (الكون).
 - 6- مقاصد التفكير في القرآن ذات بعدين بعد إيماني هدايي وبعد حضاري عمراني.
 - 7- مقاصد التفكير في القرآن تجعل من التفكير أداة بناء وتعمير وتيسير لسبل العيش على هذه الأرض.

References

- ‘Alī, Sa’īd Ismā’īl. *Ru’yah Islāmiyyah Li Qaḍāyā Tarbawīyyah*. 1st ed. Cairo: Dār Al-Fikr Al-‘Arabī, 1993.

- Al-Alūsī, Shihāb Al-Dīn Maḥmūd Bin ‘Abdullah Al-Husaynī. *Ruh Al-Ma‘ānī Fī Tafsīr Al-Qur‘ān Al-‘Āzīm Wa Al-Sab‘ Al-Mathānī*. Taḥqīq: ‘Alī ‘Abd Al-Bārī ‘Atīyyah. 1st ed. Beirut: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah. Vol. 2, 1415.
- Al-Kilānī, Mājid ‘Irsān. *Ahdāf Al-Tarbawīyyah Al-Islāmiyyah Fī Tarbiyyah Al-Fard Wa Ikhrāj Al-Ummah Wa Tanmiyyah Al-Ukhuwwah Al-Insaniyyah*. 2nd ed. Herndon: Al-Ma‘had Al-‘Ālamī Li Al-Fikr Al-Islāmī, 1997.
- Al-Maymān, Badriyah Ṣāliḥ ‘Abd Al-Raḥmān. *Naḥw Ta‘ṣīl Islāmī Li Maḥmūd Al-Tarbiyyah Wa Ahdāfihā Dirāsāt Fī Al-Ta‘ṣīl Al-Islāmī Li Al-Mafāhīm*. 1st Ed. Riyādh: Dār ‘Ālam Al-Kutub, 2002.
- Hossam Moussa Mohamed Shousha, The Concept of State and Its Necessary Existence considering the Noble Qur’an and the Present Reality, Al-Risalah: Journal of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences (ARJIHS) e-ISSN: 2600-8394, Vol 2 No 1 (2018), Special Issue.
- Al-Rāfi‘ī, Muṣṭafā Ṣādiq. *I‘jāz Al-Qur‘ān Wa Al-Balāghah Al-Nabawīyyah*. 1st Ed. Beirut: Dār Iḥyā Al-Turāth Al-‘Arabī, 2004.
- Al-Rāzī, Fakhr Al-Dīn. *Maḥāṣin Al-Ghaib*. 3rd Ed. Beirut: Dār Iḥyā Al-Turāth Al-‘Arabī, 1420.
- Al-‘Umrī, Aḥmad Khayrī. *Al-Bawṣalah Al-Qur‘āniyyah Abḥār Mukhtalif Baḥsan ‘An Al-Kharīṭah Al-Faqūdah*. 1st ed. Damascus: Dār Al-Fikr, 2003.
- Al-Zamakhsharī, Abū Al-Qāsim Maḥmūd Bin ‘Amru Bin Aḥmad. *Al-Kashshāf ‘An Ḥaqāiq Ghawāmiḍ Al-Tanzīl*. 3rd ed. Beirut: Dār Al-Kitāb Al-‘Arabī, 1407.
- Bakār, ‘Abd Al-Karīm. *Fuṣūl Fī Al-Tafkīr Al-Mawḍū‘ī*. 4th ed. Damascus: Dār Al-Qalam, 2005.
- Ibn ‘Āshūr, Muḥammad Al-Ṭāhir bin Muḥammad bin Muḥammad Al-Ṭāhir. *Al-Taḥrīr Wa Al-Tanwīr*. N. Ed. Tunis: Al-Dār Al-Tūnisiyyah Li Al-Nashr, 1984.
- Ibn Manzūr. *Lisān Al-Arab*. 3rd ed. Beirut: Dār Iḥyā Al-Turāth Al-‘Arabī. N. D.
- Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Abī ‘Abdullah Shams Al-Dīn Muḥammad Bin Abī Bakr Al-Hanbalī Al-Dimashqī. *Miftāh Dār Al-Sa‘ādah wa Manshūr Wilāyah Ahl Al-‘Ilm wa Al-Irādah*. Taḥqīq: Fawāz Aḥmad Zamralī wa Fārūq Hasan Al-Turk. 1st Ed. Beirut: Dār Bin Ḥazm, 2010.
- Mursī, Muḥammad ‘Abd Al-‘Alīm. *Al-Tarbiyyah Wa Al-Tanmiyyah Fī Al-Islām*. N. ed. Riyādh: Jāmi‘ah Al-Imām Muḥammad Bin Sa‘ūd Al-Islāmiyyah, 1992.
- Muṣṭafā, Ibrāhīm Wa Ākharūn. *Al-Mu‘jam Al-Wasīṭ, Majma‘ Al-Lughah Al-‘Arabīyyah Al-Qāhirah* N. Ed. Cairo: Dār Al-Da‘wah, N. D.
- Quṭb, Sayyid. *Fī Zilāl Al-Qur‘ān*. 17th ed. Beirut: Dār Al-Shurūq, 1412.
- Riḍā, Muḥammad Rashīd Bin ‘Alī. *Tafsīr Al-Manār*. N. Ed. Cairo: Al-Hai‘ah Al-Maṣriyyah Al-‘Ammah Li Al-Kitāb, 1990.

Sa'īd, Jawdat. *Ḥatta Yughayyirū Mā Bi Anfusihim*. 8th ed. N. C. 1989